بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 2 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:2022\10\11 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

البحث الثالث: أسماء هذه السورة.

المتتبع لكلمات علماء التفسير، بل للنصوص التي وردت في شتى المعارف الإسلامية، يجد أن لهذه للسورة أسماء ثلاثة: الإنسان، الدهر، هل أتى.

بل إذا دققنا في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في المعارف المختلفة نجد أن الشائع عندهم هو التعبير بصورة هل أتى، وهي تحتاج تتبع واسع وطويل، ولم أجد بمقدار تتبعي في الروايات أُطلق على هذه السورة بسورة الإنسان، وما وجدته هو التعبير بـ هل أتى.

ونلاحظ الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب ثواب الأعمال وعقابها يعنون الفصل بثواب قراءة سورة الإنسان. لكن الروايات التي يأتي بها التعبير فيها بـ هل أتى. وهذا يؤكد ما ذكرناه في النقطة السابقة، أن هذه الأسماء للسور ليست توقيفية، بل لأجل التمييز بينها.

فهذه الأسماء الثلاثة التي ذكرت لهذه السورة المباركة، وجه التسمية فيها في غاية الوضوح، هل أتى مطلعها، والدهر وردت في الآية الأولى، والإنسان وردت في الآية الأولى. فتذكر واحدة من هذه العناوين للتمييز بينها وبين سائر السور.

البحث الرابع: أن هذه السورة هل هي مكية أم مدنية؟

اذكر في يوم من الأيام كنت أطالع في مطلب لابن تيمية[1]، فوجدت هذا النص: الوجه الخامس: أنه يقال قد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وعلي بن الحسين وابنه محمد وجعفر بن

[1] ابن تيمية في كتابه منهاج السنة أكثر من مناقشة العلامة الحلي &، وكلاهما في القرن السابع أو القريب من هذا العصر، ويطلق عليه ألفاظاً وألقاباً نجل هذا الدرس عن ذكرها.

محمد من المناقب والفضائل ما لم يذكره هذا المصنف الرافضي، وذكر أشياء من الكذب تدل على جهل ناقلها، مثل قوله نزل في حقهم هل أتى، فإن سورة هل أتى مكية باتفاق العلماء، وعليّ إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر، وولد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة، بعد نزولها هل أتى بسنين كثيرة، فقول القائل إنها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وعلم بأحوال هؤلاء السادة الأخيار.

هذا كلام عندما يطالعه الإنسان بمقتضى المقدمات المذكورة فيه، نتيجته تكون قطعية. إذ نلاحظ في هذا النص الذي قرأناه اعتمد ابن تيمية على برهان مركب من أربع مقدمات:

مقدمة الأولى: أن الآيات بحسب نزولها التدريجي تنقسم إلى مكية ومدنية، إلى ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعد الهجرة.

المقدمة الثانية: أن من ثمرات تشخيص المكي من المدني القدرة على تمييز المصداق المراد من الآية، فيوجد ثمرات متعددة، منها نعرف الادعاءات الواردة فيها كما لو نزلت في شخص مات في مكة وقبل البعثة، والحال أن الآية مدنية، فترفض أن يكون هذا المصداق هو شأن نزولها.

المقدمة الثالثة: أن سورة الإنسان مكية باتفاق العلماء.

المقدمة الرابعة: أن في مكة لم يكن قد تزوج الإمام علي عليه السلام، ولم يكن قد ولد الحسن والحسين عليهما السلام، ولم يكن للمسلمين أسرى.

هذه المقدمات الأربع تنتج نتيجة قطعية، أن من ادعى أنها هل أتى نزلت في تلك الحادثة المعهودة هو إما كذب وإما جاهل. فهذا البرهان بمقتضى هذه المقدمات يكون قطعياً.

إنما الكلام في صحة هذه المقدمات:

أما المقدمة الأولى غير قابلة للمناقشة، فالآيات منها ما هو مكي ومنها ما هو مدني.

أما المقدمة الثانية غير قابلة للمناقشة.

أما المقدمة الرابعة أن الحسن والحسين عليهما السلام وما ذكرناه لم يكن في مكة هذه من الحقائق التاريخية المسلمة.

يبقى الكلام في المقدمة الثالثة، أن العلماء أجمعوا على كون سورة الإنسان مكية[2]. لا أريد الادعاء على أن الإجماع على الخلاف، بل مقتضى الإنصاف أن نعطي القضية حقها.

علماء التفسير يمكن أن نصنفهم في هذه السورة بلحاظ المكية والمدنية إلى طوائف:

الطائفة الأولى: علماء التفسير الذين أغفلوا توصيف هذه السورة، فلم يذكروا كونها مكية أو مدنية. ولكن الغالب من هؤلاء في مقام البحث يذكرون في تفسير الآيات المرتبطة بما ينسجم مع كونها مدنية. فلم يذكروا في بداية السورة شيء يحدد السورة، ولكن في التفسير لا يتناسب إلا مع كونها مدنية.

الطائفة الثانية: التي نصت على كون السورة مكية، ومن أبرز هؤلاء مقاتل بن سليمان في تفسيره، لكن إذا جئنا إلى تفسير الآيات المرتبطة بالسورة نجد في مسألة الوفاء بالنذر، يقول: نزلت في حق أبو الدحداح الأنصاري إلى آخر الرواية. فأبو الدحداح أنصاري فلا يمكن أن تكون الحادثة في مكة المكرمة، بل لابد أن تكون بعد الهجرة. وإلا في مكة الذين أسلموا من المدينة المنورة في القضية المعروفة لم يبقوا في مكة، ولا توجد هذه التفاصيل.

وفي مسألة الآيات التي تمدح الأبرار، يقول: نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام وأمثاله. إذاً في العنوان يقول مكية، لكن في التفاصيل عندما تدخل لا يتناسب إلا مع كونها مدنية.

لذا احتمل احتمالاً كبيراً أن يكون هذا العنوان الذي ذكر في أول السورة، أن يكون زائداً، لا أن مقاتل هو الذي ذكره. وعلى هذا الأساس مشى جملة من المفسرين.

الطائفة الثالثة: الذين نصوا على التوصيف في كونها مدنية. وهذا التوصيف ينسجم مع تفسيرهم.

---

[2] وهذا شائع عند ابن تيمية فيستعمل عبائر يقف الإنسان عندها مندهشاً، وقد أصابني ذلك، فعندما قرأت هذا الكلام كنت راجع من الحج، وكان عندي في البيت هدية الملك فهد "القرآن الكريم" فيتعجب الإنسان كيف أن علماءنا لم يلتفتوا إلى هذا الشيء، ففتحت القرآن على الفهرس حيث يوضع مكي ومدني، فوجدت أن سورة الإنسان مدنية. فقلت لعله التبس عليهم الأمر لا يمكن لأحد أن يدعي الإجماع على شيء من دون دليل، فبدأت بالتفتيش في كتب التفسير فوجدت خلاف ما يذكره ابن تيمية.

الطائفة الرابعة: الذين فصلوا، أن معظم الآيات مدنية وبعض الآيات مكية، غير الآيات المرتبطة بالقصة المعروفة. بل أكثر من ذلك: نجد أن جملة من علماء السنة ينسبون إلى جمهور [المشهور] السنة أن سورة الإنسان بتمامها مدنية. وهذا في غاية الوضوح.

مثلاً: ابن الجوزي الذي توفي سنة خمس مئة وسبعة وتسعين، يقول: سورة هل أتى، ويقال لها سورة الدهر، وفيها أقوال أحدها أنها مدنية كلها، قاله الجمهور، ومنهم مجاهد وقتادة. والثاني مكية قاله ابن يسار ومقاتل، وحكي عن ابن عباس. والثالث أن فيها مكياً ومدنياً، ثم بين هؤلاء الذين فصلوا إذ اختلفوا أيها منها المكي وأيها المدني.

هذا الذي ذكره ابن تيمية -في الواقع- وجدت من سبقه إلى هذا المطلب بثلاثة قرون، الحاكم الحسكاني السابق على ابن تيمية بثلاثة قرون تقريباً، يقول في كتابه القيم بعد استعراضه لقصة تصدق أصحاب الكساء عليهم السلام، بهذا النص: اعترض بعض النواصب على هذه القصة بأن قال: اتفق أهل التفسير على أن هذه السورة مكية، وهذه القصة كانت بالمدينة إن كانت، فكيف كانت سبب نزول السورة؟ وبان بهذا أنها مخترعة. قلت [الحسكاني]: كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر أنها مدنية.

إذاً إذا كان أصل هذه الدعوة ناصبية مبتنية على مقدمة باطلة، مَن حينئذ يكون الأخبر بشأن نزول القرآن وبأحوال هؤلاء السادة الأطهار. لا يوجد كذب أصرح من هذا الكذب.

هذه الآية باتفاق الجميع أن لهذه السورة شأن زول، فكيف تفسر إطعام الأسير، فلاحظ كتب التفسير بأجمعها، حتى الذين قالوا إنها مكية، قالوا المقصود بالأسير سجين المسلمين من المشركين؛ لأنه آنذاك لم يكن أسراء من المسلمين كفئة بغت على فئة أخرى. فينحصر شأن نزولها بأسارى المشركين الذين هم عند المسلمين.

وهل هذا الأمر كان في مكة المكرمة؟ فإذًا هذه السورة المباركة بلا إشكال قولاً ومضموناً بالبرهان هي من السور المدنية.